تطوّر التفكير اللساني الحديث من البنوية إلى الوظيفية

The evolution of linguistic thoughts from Structuralism to functionalism

د. سهام دويفي[*](1)

جامعة المدية، الجزائر

البريد الإلكتروني: douifisiham76@gmail.com

تاريخ الإرسال:2022/01/23	تاريخ القبول:2023/06/10	تاريخ النشر:2023/12/31

الملخص:

ساد شعار دراسة اللغة في ذاتها و لذاتها في اللسانيات الغربية الحديثة ردحا من الزمن ثم ما لبثت أن ظهرت معطيات لسانية جديدة دفعت اللسانيات إلى إعادة النظر في شعارها السوسيري والذي أصبح لا يلبي قناعات اللسانيين فاضطروا إلى اللجوء إلى مرحلة تصحيحية نتج عنها شعار جديد أكثر استجابة لتلبية حاجات الفكر اللساني الحديث ألا وهو شعار دراسة اللغة من خلال وظيفة التواصل.

ونحن في بحثنا هذا نروم الكشف عن التصحيحات التي مارستها اللسانيات الحديثة لتنتقل من شعار دراسة اللغة في ذاتها و لذاتها إلى شعار دراسة اللغة من خلال وظيفة التواصل.

الكلمات المفتاحية: البنوية، النحو التوليدي، الوظيفة التواصلية، التداولية، النحو الوظيفي.

Abstract:

The slogan of the study of language in and of itself prevailed in modern Western linguistics for a period of time, and then soon new linguistic data emerged that prompted linguistics to reconsider its Swiss slogan, which did not satisfy linguists, so they had to resort to a corrective stage that resulted in a new slogan that was more responsive To meet the needs of modern linguistic thought, which is the motto of studying language through the function of communication.

In this research, we aim to reveal the corrections made by modern linguistics to switch e from studying language in and of itself to studying language through the function of communication.

[*] د. سهام دويفي

Keywords: Structuralisme, générative grammar, communicative function, deliberative, functional grammar.

مقدمة:

تقوم نظريات العلم ومناهجه على تجاوز الأزمات وتصحيح الأخطاء بعد أن يتحقّق التراكم وسيادة النموذج الأكفى.

وكذلك قامت النظريات اللسانية على تجاوز الأزمات وتصحيح الأخطاء، فعرفت تطورا سريعا خلال قرن من الزمن بدأ من شعار دراسة اللغة في ذاتها ولذاتها، ووصل إلى شعار دراسة اللغة من خلال وظيفة التواصل.

ونحن في بحثنا هذا سنحاول التعرّض لمسار هذا التطور والكشف عن أهم أسبابهن طارحين الإشكالية الآتية: **كيف تطورت اللسانيات الغربية من دراسة اللغة في ذاتها ولذاتها إلى دراسة اللغة من خلال وظيفة التواصل؟ أو بتعبير آخر كيف تطوّرت اللسانيات من البنوية إلى الوظيفية؟**

وقبل أن نبدأ في عرضنا البحثي علينا أن نعرف كيف تتطور العلوم.

1.تطوّر العلم:

يتطور العلم بحدوث أزمة يسبّبها أمران اثنان هما:

أ. بلوغ العلم حدّ التراكم.

ب. سيادة أنموذج إرشادي.

وحسب توماس كون (Thomas Kuhn) فإن العلم في فترة من الفترات يحقّق ارتباطا كليًّا بين نظرياته لتؤلّف كلٌّ متماسكًا يطلق عليه النموذج يلتزم به العلماء في أبحاثهم، وفجأة يقوم أحد العلماء بكشفٍ علميّ هام يخالف الآراء السائدة في النموذج المعمول به، فيبدأ العلم مسيرة أخرى وفق معطيات جديدة من خلال نموذج جديد مخالف للنموذج السابق. (كون، 2000، الصفحات 76-77)

إذن التطور يعني تجاوز النموذج السائد إلى نموذج جديد دون إقصاء أو قطيعة بين النموذجين، بل إن النموذج القديم يكون بمثابة دعامة للنموذج الجديد. والفكر اللساني الغربي شقّ طريقه من المعاصرة إلى الحداثة دون قفز مولّد للقطيعة. (المسدي، 1986، صفحة 11)

2. من البنوية إلى الوظيفية:

بدأ عهد اللسانيات الحديثة في أوروبا عندما وقعت اللسانيات التاريخية في أزمة بسبب التراكم المعرفي الذي أدّى إلى النموذج السائد، فما كان من دي سوسير إلاّ أن يقترح نموذجاً جديدًا يتجاوز به النموذج السائد. فنادى بدراسة اللغة لذاتها ولذاتها بعدما حدّد ماهية العلامة، فبيّن من خلالها مفهوم

اللسان وحدّده بأنه نظام من العلامات التي تربط بينها علاقات (سوسير، علم اللغة العام، 1985، صفحة 84) والتي تشكّل بنية لها كيان مستقل يمكن دراسته والتقعيد له بعيدا عن أي علاقة خارجية، وهنا أصبح موضوع الدراسة اللسانية كم حددّها دي سوسير اللسان في ذاته ولذاته. (سوسير، علم اللغة العام، 1985، صفحة 253)

فرّق دي سوسير بين اللسان والكلام من خلال ربط اللغة بالمجتمع وتحديد الثابت منهما والمتغيّر، حيث إن الثابت هو اللسان فلا يستطيع المتكلم أن يغيّره لأنه لا يشعر به أصلا، أمّا المتغيّر فهو الكلام أو التأدية الفردية للسان. وعلى هذا أشار دي سوسير إلى وجود علمين مستقلين عن بعضهما بعضا تماما هما لسانيات اللسان ولسانيات الكلام.

ركّز دي سوسير في محاضراته على اللسان كموضوع للدراسة وترك الكلام لأنه يرى أن الكلام شيء غير قار أي لا يمكن القبض عليه في لحظة معينة ودراسته، وهذا راجع إلى اختلاف طبيعة المتكلمين واختلاف غراضهم.

إن محاضرات دي سوسير كانت إيذانا بظهور الدراسة اللسانية البنوية التي تدرس البنية اللغوية بعد عزلها عن أي مكوّن خارجي، ولم تدرس الكلام لأنه لا يمكن عزله عن المتكلم وعن الأغراض الكلامية التي هي مكوّنات خارجية.

ظهرت البنوية في ثوبها اللغوي اللساني معارضة للنزعات التطوية التاريخية التي كانت تفسّر الظاهرة اللغوية بالاستناد إلى المراحل الزمنية المتعاقبة. حيث ظلّت البنوية مهيمنة في أوروبا وأمريكا قرابة نصف قرن من الزمن إلى أن ظهر كتاب "البُنى التركيبية" لنوام تشومسكي سنة 1957 ليبدأ بذل عهد جديد، بعد أن راكمت البنوية ما يكفي لتدخل في أزمة تستدعي مرحلى تصحيحية جاءت على يد اللساني نوام تشومسكي.

3. اللسانيات التوليدية التحويلية:

كان نوام تشومسكي أحد أعلام البنوية الأمريكية إلاّ أنه ثار على معطياتها اللسانية خاصة ما كان سائدا منها في الأعمال اللسانية السلوكية قاصرة على الكشف عن حقيقة الظاهرة اللغوية باعتبارها سلوكا بشريا عن طريق المنهج التجريبي، لأن اللغة تحتوي حسب تشومسكي جانبا معنويًّا يتمثل في الدلالة التي تحملها العلامات التي يعبر بها عن الأفكار (غلفان، 2010، صفحة 10)، الأمر الذي دفع تشومسكي إلى افتراض مستويين لغويين: المستوى العميق للغة وهو الذي يحدّد التأويل الدلالي، والمستوى السطحي الذي يحدّد التأويل الصوتي. (غلفان، 2000، صفحة 12)

بالنسبة لتشومسكي فإن اللسانيات التقليدية والبنوية قد راكمتا ما يكفي من المعلومات، مما يجعل من الممكن تجاوز المرحلة التصنيفية، وأن نشرع في إعداد الماذج الافتراضية حول اللغات البشرية والأسس الخاصة. (غلفان، 2000، صفحة 16)

أما المرحلة التصنيفية التي انقسمت بها البنوية تمّ فيها جمع لمعطيات الموضوعية الممحصة ثم ترتيبها وتصنيفها لاستخلاص القوانين العامة بالاعتامد على الملاحظة والتجربة و الاستقراء. وبعد أن اكتمل الجمع والتصنيفانتقلت اللسانيات إلى المرحلى الافتراضية والتي يتم فيها وضع فرضيات عامة كلة من خلالها تفسّر المعطيات التي جُمعت وصُنّفت في المرحلة السابقة. (غلفان، 2000، صفحة 14)

ذلك أن تطوّر العلوم لا يعتمد فقط على التجارب المخبرية بل يحتاج إلى تفسير الظاهرة المعروضة للتحليل، وأيّ نظرية مرتبطة بمدى قدرتها على التفسير. وهذا ما حاول تشومسكي أن يسقطه على نظريته اللسانية منذ نموذج البنيات التركيبية عام 1957، حيث حاول تجاوز المستوى التصنيفي إلى المستوى التفسيري، أي إلى ملاحظة وتفسير ظواهر لغوية ثم تعميم التفسير ليشمل ظواهر أخرى.

وجّه تشومسكي بعض النقد للمدرسة البنوية الأمريكية فيقول: "تنحصر اللسانيات البنوية في تحليل ما سمّيناه البنية السطحية وفي الخصائص الواضحة في الإشارات وفي التراكيب والوحدات التي يمكن أن تظهر جلية في الإشارة ومن خلال تقنيات التقطيع والتصنيف، وهذا الانحصار هو عامل الوعي" (chomsky, 1965, p. 36). فهو يعيب على البنوية أنها اقتصرت في الدراسة على المستوى السطحي للغة وأغفلت المستوى العميق الذي له علاقة مباشرة بذهن المتكلم.

واعتبر تشومسكي أنها نقطة ضعف البنويين السلوكيين وهذا ما جعلهن يتوقفون عند الملاحظة والوصف فقط دون التفسير، فعجزوا عن وضع قوانين شاملة في حين أن التوليديين وعلى رأسهم تشومسكي لم يتوقف عملهم عند وصف الظاهرة اللغوية وإنما تعدوه إلى تحليلها وتفسيرها لاستنباط القوعد العامة التي تحكمها.

والضعف نفسه أشار إليه جون بول تون (Jean paul toun) والذي كان سببه مناهضة المذهب العقلي الذي نتج عنه حصر انتباه اللغويين في الأساس بالوقائع البنوية التي يمكن ربطها ربطاً مباشراً بما هو قابل للملاحظة.

مرّت نظرية تشومسكي التوليدية بثلاث مراحل أساسية:

1. المرحلة الكلاسيكية ويمثلها كتابه "البنى التركيبية" الذي صدر سنة 1957.
2. المرحلة النموذجية التي يمثلها كتابه "نظاهر النظرية التركيبية" الصادر سنة 1965.

3. المرحلة النموذجية الموسّعة ويمثلها كتابه "دراسة الدلالة في القواعد التوليدية" الذي صدر سنة 1972، وقد سبق هذا الكتاب ثلاث مقالات تناول فيها تشومسكي الدلالة في البنية العميقة.

أدخل تشومسكي المكوّن الدلالي إلى المستوى العميق الذي يكون عنصرا مفسّراً للبنية العميقة إلى جانب القواعد التوليدية. إلا أنه رفض أن تكون الدلالة داخلة في تكوين البنية العميقة، فالبنية العميقة هي تركيب نحوي مجرّد منفصل عن المكوّن الدلالي، وهذا الطرح رفضه علماء الدلالة التوليدية الذين افترضوا أن الدلالة عنصر مكوّن للبنين العميقة إلى جانب القواعد التوليدية.

بعد المرحلة الثالثة للنظرية التوليدية والتي تمّ فيها إدراج المكون الدلالي على أنه مكون تفسير وليس مكونا توليديا؛ انقسم التوليديون إلى فريقين: فريق يعتبر أن المكون الدلالي لا يعدو كونه مكوّنا تفسيريا وعلى رأسهم تشومسكي. وفريق ثانٍ يرى أن المكوّن الدلالي شأنه شأن القواعد التوليدية يدخل في تكوين البنية العميقة، ولا يعني أن الدلالة لأنه شيء معنوي لا تؤخذ بعين الاعتبار في تشكّل البنية العميقة أي أنها من القواعد التوليدية للبنية العميقة، وهنا كانت نقطة التحوّل في مسار اللسانيات.

إنّ إقحام المكوّن الدلالي في النظرية التوليدية أوصلها إلى حدود المكوّن التداولي، يقول أحمد المتوكّل: "كان مبدأ توليدية الدلالة المعتمدة في إطار الدلالة التوليدية من الأسباب التي وطأت لإدخال التداول في النحو كعنصر من عناصر البنية مصدر الاشتقاق المصوغة على أساس أنها بنية دلالية – تركيبية– تداولية. في هذه البنية مُثّل للمفاهيم التداولية المستعارة إما من فلسفة اللغة العادية كمفهوم القوة الإنجازية والاقتصاد أو من نظريتي (النسقية) و(الوجهة الوظيفية للجملة) كمفهوم البؤرة". (المتوكل، 2010، صفحة 39)

وبهذا تكون اللسانيات قد دخلت في مرحلة جديدة هي مرحلة التداوليات، وقد اقترح نموذجان يعتبران من أهمّ النماذج المقترحة في إطار النظرية التوليدية التركيبية التي صيغت على أساس مبدأ إسهام الجوانب التداولية في تحديد البنية التركيبية الصرفية لجمل اللغات الطبيعية أي عدم استقلال التركيب بالنظر إلى الدلالة والتداول. أما النموذجان فهما (البراغمنتكس) و(التركيبات الوظيفية).

إدخال المكوّن الدلالي التداولي إلى الدراسة اللسانية أسقط عهد دراسة اللغة في ذاتها ولذاتها، هذا الشعار الذي كان يرى أن المتكلم والسياق عناصر خارجية لا تدخل في دراسة اللغة. وانتقلت اللسانيات من (لسانيات اللسان) إلى (لسانيات الكلام) التي ترى أن المتكلم والسياق عناصر مهمة في إنتاج البنية اللغوية.

ينطلق مشروع (لسانيات الكلام) من إدراج المكوّن التداولي الذي ينظر في علاقة اللغة بمستخدميها، ويعود الفضل في إدخال مفهوم التداولية إلى الدرس اللساني إلى شارل موريس (Charles

Morris/ 1901 –1938) حين قرّر أن التداولية جزء من السيمياء التي تعالج العلاقة بين العلامة ومستعمليها في كتابه الموسوم بـ (أسس نظرية العلامة اللغوية)، حيث قسّم موريس علم السيمياء إلى ثلاثة فروع هي: علم التركيب وعلم الدلالة والبراغماتية (البازعي، 2005، صفحة 167)

وتهتم البراغماتية (التداولية) حسب موريس بتفسير المعنى الذي أراده المتكلم أي تهتم باللغة في حالة الاستعمال، وتعتمد البراغماتية عل علم التراكيب وعلم الدلالة في دراستها للمعنى الذي يريده المتكلم.

ارتقت الإجراءات التحليلية التداولية إلى درجة العلمية بفضل الفيلسوف جون أوستين (J. Austine) ليأتي بعده تلميذه سيرل (J.R. Searle) ويؤسس انطلاقا من أبحاث أستاذه نظرية أفعال الكلام وركز فيها على مفهوم الفعل الإنجازي. (الكريم، 2009، صفحة 11)

ينضاف إلى هؤلاء الفيلسوف بول غرايس (Robert. P. Grice / 1913–1988) الذي تجلّى عمله في تطوير الدرس لتداولي في حديثه عن مبادئ نظرية المحادثة ومبدأ "التعاون" الذي يقتضي أن المتكلمين متعاونون في تسهيل عملية التخاطب (علي، 2004، صفحة 99)، ثم تطورت نظرية غرايس بفضل جهود باحثين في مجال التخاطب من أبرزهم هارنيش (R.M.Harnich) الذي أضاف بعض التعديلات منها الجمع بين مبدئي الكم والكيف، وكذلك صادوك (J.M.Sadok) الذي أشار إلى إمكان تقليص بعض مبادئ غرايس. (غلفان، اللسانيات التوليدية من النموذج قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي – مفاهيم وأسئلة، 2010) (علي، مدخل إلى اللسانيات، 2004، صفحة 100)

كل هذه الأبحاث وغيرها شكلت الأرض الخصبة لظهور المدرسة الوظيفية التداولية، وكانت نقطة الانطلاق الحقيقية بعدما رسخ عند منظري النحو زائد النقد اللاذع الذي تلقته النظرية التوليدية لعدم كفاية إجراءاتها الداخلية الخالصة والمغلقة في استيعاب كل قضايا اللغة، وكان عالم الأجناس ديل هيمس (Dell Hymes) من أبرز الذين انتقدوا اللسانيات التوليدية التحويلية، ونادى بتجاوز مفهوم الملكة اللغوية إلى مفهوم الملكة التبليغية التي تجمع بين البنية اللسانية وبين سياقات وطرائق استعمالها حسب مقتضيات أحوالها (صحراوي، 2005، صفحة 19).

مثل هذا النقد جعل الباحثين يعزفون عن الدراسات التي لا تأخذ في حسبانها العناصر السياقية والجوانب التخاطبية في الجملة، منهم أحد أهم أقطاب المدرسة التوليدية وهو روبين لاكوف (Robin Lakof) الذي كان من أوائل التوليديين الذين شككوا في إمكان دراسة المعنى معزولا عن السياق (يونس، 2004، صفحة 102). بل إن بعض الوظيفيين المعاصرين كانوا من قبل من المدافعين عن الطروحات التوليدية التحويلية في مرحلة النظرية المعيار، ثم قاموا بانتقادها لعدة أسباب من أبرزها إقصاء البعد التواصلي والتبليغي، بالإضافة إى أن قواعدها التحويلية تفتقد للواقعية النفسية.

لقد راكمت التوليدية ما يكفي لتدخل مرحلة التصحيح في ضوء المعطيات التداولية الجديدة، وكذلك المعطيات الوظيفية التي كانت موجودة ولكن بصورة محتشمة بسبب سيطة البنوية وبعدها التوليدية، وتتمثل المعطيات الوظيفية في:

- الوجهة الوظيفية للجملة التي أفرزتها حلقة براغ.
- النظرية السياقية التي أفرزتها مدرسة لندن.
- النحو النظامي أو النحو النسقي الذي أفرزته مدرسة لندن.
- نظرية البراغمانتكس أو الدلالة التوليدية التي أفرزتها نظرية النحو التحويلي.
- نظريات التركيبات الوظيفية التي أفرزتها نظرية النحو التوليدي التحويلي.

4 . عهد اللسانية النحوية الوظيفية:

أفرزت المرحلة التصحيحية التي شهدتها اللسانيات الحديثة في ضوء المعطيات التداولية والوظيفية، قلنا أفرزت دراسة جديدة عُرفت باللسانيات التداولية الوظيفية والتي تمثلت في أبرز وأهم نظرية ألا وهي نظرية النحو الوظيفي لمؤسسها سيمون ديك، والتي تحتل اليوم المكانة البارزة والمهمة في الدراسات اللسانية الغربية بما حققته من نتائج مرضية في وصف اللغة وحل مشكلاتها.

5. من القدرة النحوية إلى القدرة التواصلية:

قامت النظرية التوليدية على تحديد وتفسير القدرة النحوية، إلاّ أن تشومسكي أقرّ بوجود القدرة التواصلية إلا أنه ميز بين القدرتين وجعل موضوع نظريته القدرة النحوية. إلا أن ديل هايمز عارض تشومسكي وافترض وجود قدرة أشمل تكون القدرة النحوية مكونا من مكوناتها إلى جانب القدرة الدلالية والقدرة التداولية، تلك القدرة التي افترضها ديل هايمز هي القدرة التواصلية التي يمكن من خلالها دراسة العلاقة بين البنية اللغوية وبين مختلف استعمالاتها، وقد ساهمت جهود مدرسة براغ وجهود مدرسة لندن المتمثلة في الوجهة الوظيفية للجملة في الانتقال من دراسة القدرة النحوية إلى دراسة القدرة التواصلية.

وبمعنى آخر مهدت الدراسة الوظيفية والدراسة التداولية في العناية بالقدرة التواصلية، لأن عزل اللغة عن سياقاتها التواصلية يبعدها عن الواقعية من جهة، ويحجب دور السياق لتواصلي في تحديد بنيتها من جهة أخرى، لذلك لكي يتم بناء نظرية لغية عامة يجب الأخذ بعين الاعتبار أداتية اللغة وظيفتها (البوشيخي، 2012، الصفحات 20-21).

تضم هذه النظرية العامة ثلاثة أنماط من القواعد وهي: القواعد التركيبية والقواعد الدلالية والقواعد التداولية. تتضافر كلها في تشكيل بنية اللغة التي هي أداة من أجل التواصل. وعليه فإن القدرة التواصلية

تجمع بين القدرة النحوية وقدرة الاستعمال، وهذا ما انبنت عليه نظرية النحو الوظيفي لسيمون ديك التي تجعل موضوع دراستها القدرة التواصلية.

6. المبادئ العامة للمقاربة الوظيفية للغة:

تقوم المقاربة للغة مهما كان الإطار النظري الذي يتبناها قديما كان أم حديثا على جملة من المبادئ العامة نعرضها كالآتي:

1.6. أداتية اللغة:

تعتبر اللسانيات الوظيفية اللغة أداة تسخر لتحقيق التواصل داخل المجتمعات البشرية (المتوكل، 2006، صفحة 20)، وعلى هذا الأساس تدرّسها وهذا المبدأ تمثّله ابن جني في تعريفه للغة حين قال: "اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم" (جني، صفحة 33) وهذا إشارة إلى وجود جذور للفكر اللساني الوظيفي في التراث اللغوي العربي.

2.6. وظيفية اللغة كأداة:

بعدما أكدوا أن اللغة أداة ذهبوا لتحديد وظيفتها ووظيفتها هي التواصل، "فإقامة التواصل إذن هي الوظيفة المركزية لكل اللغات الطبيعية" (البوشيخي، 2012، صفحة 36).

3.6. اللغة والاستعمال:

ويقصد بالاستعمال القواعد والأعراف التي تحكم التعامل بين الأفراد في مجتمعاتهم، ولكل مجتمع قواعد خاصة به وإن كانت بعض القواعد تشترك فيها جميع المجتمعات (البوشيخي، 2012، صفحة 36)، هذه القواعد تحدد البنية اللغوية التي تستعمل المخاطب وسنه ومكانته الاجتماعية وكذا المنطقة الجغرافية التي ينتمي إليها كما هو موضح في المثال الآتي:

أ. إذا كان المخاطَب متساويا مع المتكلم في المكانة استعملت عبارة (اجلس من فضلك).

ب. إذا كان المخاطَب أعلى مستوى من المتكلم استعملت عبارة (هلاّ تفضلت بالجلوس).

ج. إذا كان المخاطَب دون مستوى المتكلم استعملت عبارة (اجلس).

4.6. سياق الاستعمال:

تؤدي العبارة اللغوية الغرض الذي من أجله أنتجت إذا تطابقت وسياق استعمالها، والسياق حسب المتوكل سياقان:

أ. سياق مقالي: ويقصد به مجموعة العبارات المنتجة في موقف تواصلي معين باعتبار أن عملية التواصل لا تتم بواسطة جمل بل بواسطة نص متكامل في غالب الأحوال. (المتوكل، 2006، صفحة 22)

ب. سياق مقامي: يقصد به مجموعة المعارف والمدارك التي تتوافر في موقف تواصلي معين لدى كل من المتكلم والمخاطَب. (المتوكل، 2006، صفحة 22)

5.6. اللغة والمستعمل:

تركز المقاربة الوظيفية للغة على موقف مستعمل اللغة أو المتكلم من الفحوى القضوي للعبارة اللغوية أو بمعنى آخر على غرض المتكلم من العبارة اللغوية، لأنه يؤثر في تحديد بنيتها الدلالية-التركيبية.

وأغراض المتكلمين كثيرة ومتعددة منها: الشك، الظن، التعجب، النفي، الإخبار، الطلب، الاستفهام، الاستغراب، عدم اليقين...

6.6. القدرة اللغوية:

بعد أن كانت القدرة اللغوية عند البنويين هي قدرة المتكلم على إنتاج بنية لغوية أصبحت عند التوليدية إنتاج بنية لغوية وفق قواعد لغوية معينة، أي قدرة المتكلم على الجمع بين أصوات اللغة ومعانيها الضمنية في تنسيق وثيق مع قواعد اللغة (تشومسكي، 1985، صفحة 28)، إلا أن المقاربة الوظيفية للغة تركز على قدرة أخرى يكتسبها الفرد ليحقق استعمال لغته كأداة للتواصل، وهي القدرة التداولية إلى جانب القدرة النحوية التي تركز عليها نظرية النحو التوليدي. فحسب المقاربة الوظيفية يوجد إلى جانب القواعد التركيبية-الدلالية قواعد الاستعمال، وهي القواعد التي تجعل الطفل يدرك متى يتكلم؟ ومع من؟ وبماذا؟ وفي أي وقت؟ وأين؟ وبأي طريقة؟... (البوشيخي، 2012، صفحة 24)

7.6. الأداتية وبنية اللغة:

يعتبر أحمد المتوكل أن هذا المبدأ من أهم المبادئ التي ترتكز عليها المقاربة الوظيفية للغة بل هو الذي يجعل التوجه الوظيفي من أنجح التوجهات في معالجة اللغة، فكما أن كل أداة من الأدوات التي يستعملها البشر نأخذ البنية التي تلائم الوظيفة المستعملة من أجلها. (المتوكل، 2010، صفحة 53)

8.6. البنية والتواصل الأمثل:

تتم عملية التواصل بنجاح -حسب المقاربة الوظيفية- إذا لم يتخلل الخطاب ما يعيق تأويله لدى المخاطَب، ومن العوائق نجد الحذف مثلا، فإذا تم حذف ركن أساسي من أركان الكلام (المسند أو المسند إليه) دون وجود قرينة مقالية أو سياقية تدل عليه، سيضطر السامع أن يطرح سؤالا لإزالة الإبهام عن الكلام الذي سببه الحذف.

9.6. الأداتية وتطور اللغة:

حسب المقاربة الوظيفية للغة فإن اللغة ليست ثابتة مستقرة على شكل وصورة واحدة، بالرغم من أن تقدمها يبدو بطيئا في بعض الأحيان. فالأصوات والتراكيب والعناصر النحوية وصيغ الكلمات ومعانيها معرضة كلها للتغيير والتطور، ولكن سرعة الحركة والتغير فقط هي التي تختلف من فترة زمنية لأخرى ومن قطاع لآخر من قطاعات اللغة، فلو قورن بين فترتين متباعدتين لتكشّف الأمر عن اختلافات عميقة كثيرة. (أولمان، 1982، صفحة 178)

والتغير والتطور لا يأتي عبثا أو حشوًا أو إفسادا؛ بل يأتي لمقابلة حاجات الناس في المجتمع، وعليه فإن المقاربة الوظيفية للغة تعالج كفاية تسمى "بالكفاية التطورية" باعتبارها تجيب عن أسئلة من قبيل: لماذا تفقد بعض اللغات أدواتها الإنجازية؟ لماذا يتغير موقع أسماء الاستفهام في بعض اللغات؟ لماذا تنتقل لغة ما من بنية رتيبة إلى بنية رتيبة أخرى (فعل، فاعل، مفعول به إلى فاعل، فعل، مفعول به)؟ كما تسعى النظرية الوظيفية إلى معرفة أسباب التطور، مجال التطور، اتجاه التطور وأنواعه. (المتوكل، 2003، صفحة 158)

كانت هذه أبرز مبادئ المقاربة الوظيفية للغة، ورغم أنها مقاربة لسانية حديثة إلاّ أن اللسانيين العرب وعلى رأسهم أحمد المتوكل وجدوا لها جذورا في الدراسات اللغوية العربية القديمة.

7. خاتمة:

في ختام بحثنا نستنتج أن التفكير اللساني الغربي عرف تطورا فكريا وعلميا انتقل من دراسة اللغة في ذاتها ولذاتها إلى دراسة اللغة من خلال وظيفة التواصل، وقد كان هذا التطور ضروريا وحتميا بسبب ما يستجدّ من معطيات فكرية وعلمية في كل مرحلة لسانية. ومازال الفكر اللساني يتطور ويتجدد كلما تجددت المعطيات، وكلما دعت الحاجة والضرورة لذاك.

وسنة التطوير والتجديد سنة كونية طبيعية عرفتها اللغات قبل أن تعرفها الدراسات اللسانية (حديثة كانت أم قديمة)، ويمارسها الباحثون والدارسون ليس من باب الترف الفكري؛ وإنما من باب الحاجة والضرورة ومن باب تلبية حاجات العلم الذي يعيش عن طريق تخطي الأخطاء وتصحيح المسارات العلمية دون اللجوء إلى القطيعة بين ما هو قديم وما هو حديث.

8. قائمة المراجع:

- ابن جني. *الخصائص* (المجلد ج1). (تح: محمد علي النجار، المترجمون) مصر: دار الكتب المصرية.

- أحمد المتوكل. (2010). *اللسانيات الوظيفية- مدخل نظري*. لبنان: دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1.
- أحمد المتوكل. (2006). *المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي- الأصول والامتداد، دار الأمان، الرباط، ط1، 2002*.
- أحمد المتوكل. (2003). *الوظيفية بين الكلية والنمطية*. المغرب: دار الأمان، ط1.
- تشومسكي. (1985). *جوانب من نظرية النحو*. (تر: مرتضى جواد باقر، المترجمون) بغداد: مطابع جامعة الموصل.
- توماس كون. (2000). *فلسفة العلوم (المشكلات المعرفية)*. (تر: ماهر عبد القادر محمد علي، المترجمون) دار المعرفية الجامعية.
- ستيفن أولمان. (1982). *دور الكلمة في اللغة*. (تر: كمتا بشر، المترجمون) القاهرة: دار غريب، ط12.
- عبد السلام المسدي. (1986). *التفكير اللساني في الحضارة العربية*. طرابلس: الدار العربية للكتاب.
- عز الدين البوشيخي. (2012). *التواصل اللغوي – مقاربة لسانية وظيفية*. بيروت: ناشرون.
- فردناند دو سوسير. (1985). *علم اللغة العام*. بغداد: دار آفاق العربية.
- محمد محمد يونس علي. (2004). *مدخل إلى اللسانيات*. ليبيا: دار الكتاب الجديدة المتحدة.
- مسعود صحراوي. (2005). *التداولية عند علماء العرب*. الجزائر: دار التنوير، ط1.
- مصطفى غلفان. (2010). *اللسانيات التوليدية من النموذج قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي – مفاهيم وأسئلة*. الأردن: عالم الكتب الحديث.

- ميجان الرويلي، سعد البازعي. (2005). *دليل الناقد الأدبي*. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
- سحالية عبد الكريم. (5 مارس, 2009). التداولية. *مجلة المخبر – أبحاث في اللغة والأدب* .
- chomsky, N. (1965). *la langague de la pensee.* paris.